رفع الإيهام عن آي قصص القرآن آدم – عليه السلام– أنموذجاً

د. هود محمد منصور قباص أبو راس

أستاذ التفسير وعلوم القرآن - جامعة الإيمان سابقا.

Email: hoodaboras@gmail.com

الملخص

4

يهدف البحث إلى تناول التعريف بقصص القرآن الكريم في اللغة والاصلاح ، وألفاظ القصص وأقسامه، كما يبين الحكم من قصص القرآن الكريم، والحكمة من تكرار القصص في القرآن الكريم، ويبين مهنج الجمع بين ما يتوهم أنه متعارض ومتناقض من الآيات وتطبيقه على قصة نبي الله آدم – عليه السلام –.

كما اتبع الباحث في بحثه المنهج التحليلي الاستقرائي التطبيقي القائم على تحليل النصوص القرآنية، وأقوال المفسرين، ويستنبط منها منهجية الجمع بين الآيات التي ظاهرها التعارض وسيحلل شيه المعارضين والردود عليها .

الكلمات المفتاحية :

(قصص – تعارض – شبهات)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين سيدنا محمد بن عبدالله الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد دأب كثير من مفسري قصص القرآن الكريم رحمهم الله في تفسير بعض قصص القرآن الكريم على نقل بعض الروايات الإسرائيلية والأحاديث الضعيفة والموضوعة، ولم يتنبهوا لبعض الثغرات التي قد تكون مدخلاً لبعض المترصدين لزلات بعض المفسرين للطعن في أصالة القرآن الكريم، والتشكيك في آياته على أنها مختلفة ومتناقضة في عرضها لبعض قصص القرآن الكريم، وأنها تختلف من موضع إلى آخر، وقد أحببت في هذا البحث التعريف بقصص القرآن، وبيان أوجه الحكمة من تكرارها، وإزالة اللبس والايهام الذي قد يقع لبعض الناس في بعض قصص القرآن، وقمت بالرد على الشبهات المتعلقة بذلك، وبيان موهم التعارض والاختلاف الذي يروج له بعض الطاعنين والمشككين في موضوع القصص القرآني، وبيان طرق الجمع التوفيق بين آيات قصص القرآن، وجعلت قصة آدم عليه السلام أنموذجاً على هذه الدراسة.

مشكلة وأسئلة الدراسة: تكمن مشكلة الدراسة في الرد على ادعاء البعض وجود تعارض وتناقض بين آيات قصص القرآن من موضع إلى آخر بالإضافة إلى تحميل بعض الألفاظ ما لا تحتمله في قصة آدم عليه السلام، بدعوى أن الله شاور الملائكة وحاورهم في موضوع خلقه واستخلافه في الأرض وذريته من بعده، وتجيب هذه الدراسة عن هذ الأسئلة:

1- ما تعريف قصص القرآن؟
2- ما مواطن وهم التعارض في قصص القرآن؟
3- كيف نرفع التعارض والاختلاف والتعارض المتوهَّم في قصص القرآن؟
4- ما منهجية الجمع بين الآيات التي ظاهرها التعارض والاختلاف؟
5- ما أقسام التعارض والاختلاف في قصص القرآن الكريم؟
6- ما تفنيد الشبهات المتعلقة بخلق آدم عليه السلام واستخلافه؟

أهداف الدراسة:

1- التعريف بقصص القرآن ومدلولاتها، والتعريف بموهم التعارض والاختلاف في آي القرآن.

2- رفع موهم التعارض والاختلاف المتعلق ببعض آي قصص القرآن، والرد على الشبهات المتعلقة بذلك.

3- بيان المنهجية الكاملة للجمع بين الآيات المتعلقة بموهم التعارض والاختلاف وأقسامها.

4- تفنيد الشبهات المتعلقة بخلق آدم عليه السلام واستخلافه.

منهج البحث: سيتتبع الباحث في هذا البحث المنهج التحليلي الاستقرائي التطبيقي حيث سيعمد إلى نصوص القرآن الكريم وأقوال المفسرين ويستنبط منها منهجية الجمع بين الآيات التي ظاهرها التعارض، وسيحلل شبه المعارضين ويرد عليها بناء على هذه المنهجية، ثم سيطبق كل هذا على قصة نبي الله آدم عليه السلام.

الدراسات السابقة: لم يعثر الباحث على موضوع يبحث رفع الإيهام عن قصص القرآن جملة، وعن قصة آدم بصفة خاصة، وإن كانت هناك دراسات حول رفع الإيهان عن بعض آيات القرآن، وسيذكر الباحث بعض ما وقف عليه مع بيان الفارق بينها وبين هذه البحث وذلك على النحو الآتي:

1- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي. وتناول كثيراً من الآيات جرى فيه على ترتيب سور المصحف، وتعرض لبعض مواضع قصة آدم كقصة خلق آدم، ولم يتعرض لقصة الملائكة وخلافة آدم للأرض. بخلاف بحثي فإنه استوعب موهم التعارض في قصة آدم في القرآن الكريم.

2- رفع إيهام التعارض عن الآيات الواردة في الإيمان بالرسل والقدر – جمعاً ودراسة- رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، للباحث: خالد بن عبد الله بن عمر الدميجي. **وكان هدف** الباحث محدداً في تناول رفع الايهام في آيات الإيمان بالرسل والقدر، **وأبرز النتائج** أن هذا التعارض ناشئ عن سوء فهم الآيات وعدم جمع الآيات جميعاً في الموضوع الواحد بحيث يزول التعارض

المتوهم. **والفرق بين رسالته وهذا البحث** أن بحثي متوجه لرفع التعارض المتوهم في قصة آدم عليه السلام على وجه الخصوص.

3- القصص القرآني ودفع ما أثير حوله من الشبهات. بحث ألقي في جامعة الأزهر كلية أصول الدين بالمنوفيه في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية. للدكتور: فاروق محمد عبد الرحمن. وكان أكثر تركيزه على أنواع القصص القرآني ومقاصده ومميزاته وأسلوبه، والحكمة من ذكر بعض قصص القرآن في أكثر من سورة. **والفرق بينه وبين بحثي** أن هذا البحث مخصص لرفع ما يتوهم فيه التعارض في بعض مواضع قصة آدم عليه السلام.

خطة البحث:

المبحث الأول: التعريف بقصص القرآن.

المطلب الأول: تعريف القصة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: ألفاظ القصص في القرآن الكريم:

المطلب الثالث: أقسام القصص في القرآن الكريم:

المطلب الرابع: الحكم من قصص القرآن الكريم.

المطلب الخامس: الحكمة من تكرار القصص في القران الكريم:

المبحث الثاني: منهج الجمع بين ما يتوهم أنه متعارض ومتناقض من الآيات وتطبيقه على قصة نبي الله آدم عليه السلام.

المطلب الأول: الآيات المتحدثة عن خلق آدم عليه السلام.

المطلب الثاني: توجيه إخبار الله للملائكة عن جعل آدم خليفة في الأرض.

المطلب الثالث: ما قاله الله للملائكة وما قالوه له هل يسمى حواراً؟

المطلب الرابع: وجه استفهام الملائكة عن استخلاف آدم.

المطلب الخامس: وجه حكم الملائكة بإفساد الخليفة وسفكه للدماء.

المطلب السادس: آدم عليه السلام خليفة لمن؟ أو خليفة عن من؟

المطلب السابع: توجيه سجود الملائكة لآدم عليه السلام.

المبحث الأول

التعريف بقصص القرآن وبيان ألفاظها في القرآن الكريم وذكر أقسامها والحكمة منها.

وسيكون الكلام في هذا المبحث على ستة مطالب كما يلي:

المطلب الأول: تعريف القصة لغة واصطلاحاً: القصص لغة: مأخوذ من القص وهو: تتبع الأثر،[1] قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة القصص الآية: 11]. وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة القصص الآية: 25] ويقال: قص أثره قصاً وقصصًا، وخرج فلان قصًا وقصصًا في إثر فلان، والقصة رواها. ويقال: قص عليه الرؤيا أخبره بها وقص عليه خبره أورده على وجهه[2]، والقصة التي تكتب والجملة من الكلام والحديث والأمر والخبر والشأن، والجمع قصص[3].

القصص اصطلاحاً: عرف الرازي القصص بأنه: إتباع الخبر بعضه بعضا [4]، وقال في تعريف قصص القرآن بأنه: مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ، ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة[5] وعرف ابن عثيمين القصص بأنها: (الإخبار عن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضاً)[6].

---

(1) المحكم والمحيط الأعظم المؤلف : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ـــ تحقيق : عبد الحميد هنداوي، الناشر : دار الكتب العلمية، سنة النشر : 2000م، مكان النشر : بيروت (6 / 101).

(2) المعجم الوسيط المؤلف : إبراهيم مصطفى ـــ أحمد الزيات ـــ حامد عبد القادر ـــ محمد النجار، دار النشر : دار الدعوة، تحقيق : مجمع اللغة العربية 1379هـ/1960م (2 / 739)

(3) المعجم الوسيط - (2 / 740) ، نفحات من علوم القرآن، المؤلف: محمد أحمد محمد معبد، ص: (107)، الناشر: دار السلام- القاهرة، الطبعة الثانية، عام 1426هـ-2005م.

(4) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب تأليف: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى (1421هـ الموافق 2000م) (18 / 417).

(5) مفاتيح الغيب (8 / 250).

(6) تفسير القرآن، المؤلف : محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : 1421هـ) ملف الكتروني في الشاملة (1 / 43)، أصول في التفسير، المؤلف محمد بن صالح العثيمين، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى: 1422ه-2001م، ص:(50-52).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران الآية: 62] وقصص القرآن هي أصدق القصص؛ وذلك لتمام مطابقتها للواقع، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً ﴾ [سورة النساء الآية: 87] وهي أحسن القصص؛ لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال **والأخلاق، كما** قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [سورة يوسف الآية: 3]أي: نحن نقص عليك أحسن ما يقص أو أحسن الأخبار المقصوصات، وذلك لاشتماله على أخبار الكتب الماضية وأمور الله السالفة في الأمم [1]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يوسف الآية: 111] ولذلك فإن لقصص القرآن أهمية عظمى، فإن الله ذكر لرسوله ما جرى من الأمم وعليها، وأقوال الأنبياء وأفعالها ، فالقرآن أحسن القصص وهو أصدقه[2]، وعلم قصص القرآن الكريم من العلوم المهمة التي يحتاج إليها المفسر؛ لأن معرفة القصة تفصيلاً يعين على توضيح ما أجمل في القرآن الكريم[3].

(1) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد عبد جلال الدين السيوطي، دار الفكر بيروت 1993م (8 / 181).

(2) أحكام القرآن تأليف: أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، دار الفكر للطباعة والنشر لبنان تحقيق: محمد عبد القادر عطا (5 / 371).

(3) التفسير والمفسرون، المؤلف: د. محمد حسين الذهبي، (177/1)، الناشر: آوند دانش، الطبعة: الأولى، عام 1425هـ-2005م.

المطلب الثاني

ألفاظ القصص في القرآن الكريم:

لقد ورد ذكر لفظ القصص ومشتقاتها في القرآن الكريم بألفاظ متعددة في مجموعة من الآيات، على النحو التالي:

1- قص: قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة القصص الآية: 25].

2- قصصنا: قال تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [سورة النحل الآية:118]. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾[سورة غافر الآية: 78] .

3- قصصناهم: قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [سورة النساء الآية: 164].

4- نقص: قال تعالى:﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[سورة الأعراف الآية: 101]. وقال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة هود الآية: 120]. قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [سورة يوسف الآية: 3]. وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [سورة الكهف الآية: 13]. وقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [سورة طه الآية: 99].

5- تقصص: قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [سورة يوسف الآية: 5].

6- فلنقصن: قال تعالى: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ [سورة آل عمران الآية: 7].

7- نقصه: قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾[سورة هود الآية: 100].

8- يقص: قال تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ [سورة الأنعام الآية: 57]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[سورة النمل الآية: 76].

9- يقصون: قال تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [سورة الأنعام الآية: 130].

10- فاقصص: قال تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف الآية: 176].

11- قصيه: قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة القصص الآية: 11].

12- القصص: قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة القصص الآية: 25]. قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران الآية: 62]. قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾[سورة يوسف الآية: 3].

13- قصصاً: قال تعالى: ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[سورة الكهف الآية: 64].

14- قصصهم: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يوسف الآية: 111].

ومن خلال ما سبق تبين لنا أن لفظ القصة ورد في القرآن بصيغ مختلفة وهذا لأهميتها واعتبار الرجوع إليها استنباطاً واعتباراً ودراسةً وفقهاً.

المطلب الثالث

أقسام القصص في القرآن الكريم

تنقسم القصص في القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: قسم تحدث عن الأنبياء والرسل وما جرى لهم مع المؤمنين والكافرين:

وهذا القسم تكرر في القرآن كثيراً بغرض التأكيد على السير على هدى الأنبياء، وتثبيت قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقلوب أتباعه على الحق، ومن هذه القصص قصة نوح وإبراهيم، وقصة قوم صالح وعاد وثمود ... قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة التوبة الآية: 70]. وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة هود الآية: 120].

ثانياً: قسم تحدث عن أفراد وطوائف جرى لهم ما فيه عبرة فنقله الله تعالى عنهم:

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم كثيراً من القصص عن الأمم السابقة أفراد وجماعات لما فيها من عبرة، وما في قصصها من العظة، ومن ذلك قصة مريم ابنت عمران ولقمان الحكيم، وأصحاب الكهف وذي القرنيين وقارون وأصحاب الفيل وأصحاب الأخدود، وقصة الذي مرَّ على قرية وهي خاوية، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف... قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[سورة الأعراف الآية: 101].

وقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [سورة الكهف الآية: 13].

وعلى سبيل المثال فقد قص الله لنا في سورة البقرة خمس قصص عن إحياء الموتى، وهي: 1- قصة قوم موسى:﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة البقره الآية:55-56]. ومعنى الآية: واذكروا

إذ قلتم يا موسى لن نصدقك في أن الكلام الذي نسمعه منك هو كلام الله حتى نرى الله عياناً، فنزلت نار من السماء رأيتموها بأعينكم فقتلتكم بسبب ذنوبكم وجرأتكم على الله تعالى ثم أحييناكم من بعد موتكم بالصاعقة لتشكروا نعمة الله عليكم، فهذا الموت عقوبة لهم ثم بعثهم الله لاستيفاء آجالهم، قال ابن كثير: فأوحى الله إلى موسى أن هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل، ثم إن الله أحياهم فقاموا وعاشوا رجلٌ رجلٌ، ينظر بعضهم إلى بعض: كيف يحيون؟ قال: فذلك قوله تعالى: { ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }وقال الربيع بن أنس: كان موتهم عقوبة لهم، فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم[1].

2-أصحاب البقرة حينما تنازعوا في القتيل: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[سورة البقرة الآية: 72-73]. قال الطبري: في هذه الآية مخاطبة من الله عباده المؤمنين، واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث، وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا ، فقال لهم تعالى ذكره : أيها المكذبون بالبعث بعد الممات، اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته ، فإني كما أحييته في الدنيا فكذلك أحيي الموتى بعد مماتهم، فأبعثهم يوم البعث[2].

3-﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾[سورة البقرة الآية: 243]. قال ابن كثير: وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن يغني حذر من قدر وأنه، لا ملجأ من الله إلا إليه، فإن هؤلاء فروا من الوباء طلبًا لطول الحياة فعوملوا بنقيض قصدهم وجاءهم الموت سريعًا في آن واحد [3].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار الفكر بيروت 1401 هـ (1 / 264)

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، دار الفكر بيروت (1405 هـ) (2 / 128).

(3) تفسير ابن كثير (1 / 661)

4-قصة عزير: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِـــي هَـــذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[سورة البقرة الآية: 259].

5-قصة إبراهيم عليه السلام والطير: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـــي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـــكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة الآية: 260].

ثالثاً: قسم تحدث عن حوادث وأقوام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم:

وهذا القسم من القصص القرآنية هي تخليد لما حدث في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وتعليم لمن بعدهم بما حدث من المعجزات والأحداث في العصر الأول لانتشار دعوة الإسلام، ومن هذه القصص ما حكاه الله تعالى مما حدث في غزوة الأحزاب، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾[سورة الأحزاب الآية: 9-14] ، ويستفاد من هذه القصة معرفة حقيقة أصحاب الإيمان وأصحاب النفاق في ساعة التمايز بين الفريقين، ففي أوقات المحن والابتلاءات تظهر معادن الصادقين من غيرهم، ومن هذا ما قصه الله تعالى في القرآن من غزو بدر، ما حدث لبني النضير وبنو قريظة، وقصة زيد ابن حارثة وقصة أبي لهب، وكل هذه القصص تؤسس لتذكير دائم، واتعاظ مستمر، كما أن في كثير منها تأسيساً لأحكام شرعية في ما يتعلق بالجهاد وأحكامه، وأحكام الكفار وأهل الذمة ونحوهم.

المطلب الرابع

الحكمة من قصص القرآن الكريم

ذكر ابن عثيمين رحمه الله [1] مجموعة من الحكم المترتبة على قصص القرآن نلخصها فيما يلي:

أولاً: بيان حكمة الله فيما تضمنته هذه القصص:

ودليل ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الْأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾[سورة القمر الآية: 4-5]. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: { وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ } أي: من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسل، وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب، مما يتلى عليهم في هذا القرآن، { مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ } أي: ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي على التكذيب[2].

ثانياً: بيان عدله سبحانه وتعالى في عقوبة المكذبين.

قال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [سورة هود الآية: 101].وقال تعالى: ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[سورة هود الآية:83]. قال الزحيلي في تفسير هذه الآية: وكان من مقتضى العدل أن يجازي اللّه هؤلاء المصرين على العصيان وارتكاب الفاحشة، والذين أنذروا بالعقاب فلم يقبلوا الإنذار، فأنزل اللّه عليهم من السماء حجارة من سجيل منضود، مسوّمة عند ربك، وما هي من الظالمين ببعيد، فأهلكوا جميعا، وما أسوأ ذلك المصير المشؤوم[3].

ثالثاً: بيان فضله سبحانه وتعالى في نجاة المؤمنين.

---

(1) أصول في التفسير، المؤلف محمد بن صالح العثيمين، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى: 1422ه-2001م، ص:(50-52).

(2) تفسير ابن كثير (7 / 475)

(3) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د. وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية، 1418 هـ (7 / 20).

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ [سورة القمر الآية: 34] ، وكقصة موسى عليه السلام مع فرعون وغيرها من القصص المشابهة لها، قال تعالى: ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الشعراء الآية: 65] ، ونوح عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾[سورة الشعراء الآية:119] ، وقال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾[سورة يونس الآية:73] وكقصة لوط عليه السلام قال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [سورة الذاريات الآية: 35-37].

رابعاً: تثبيت وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما أصابه من المكذبين.

قال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾[سورة الحج الآية: 42-44]. قال القرطبي: هذا تسلية للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعزية، أي كان قبلك أنبياء كذبوا فصبروا إلى أن أهلك الله المكذبين، فاقتد بهم واصبر [1] وقال تعالى:﴿ وَكُــلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَــذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة هود الآية: 120].

قال البغوي: معناه: وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل، أي: من أخبارهم وأخبار أممهم نقصها عليك لنثبت به فؤادك، لنزيدك يقيناً ونقوي قلبك، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمعها كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه [2].

خامساً: ترغيب المؤمنين في الإيمان به والثبات عليه والازدياد منه إذا علموا نجاة المؤمنين السابقين وانتصار من أمروا بالجهاد.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي دار الشعب القاهرة (12 / 73)

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، تأليف: محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار المعرفة بيروت، تحقيق:خالد عبد الرحمن العك (4 / 207)

قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة الأنبياء الآية: 88] ، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[سورة يونس الآية: 103] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة الروم الآية47].قال البغوي في تفسير هذه الآية: ففي هذا تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء(1).

سادساً: تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم وغيهم.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ [سورة محمد الآية:10].

قال قتادة في تفسير هذه الآية: أهلكهم الله بألوان العذاب بأن يتفكر متفكر ويتذكر متذكر ويرجع راجع فضرب الأمثال وبعث الرسل ليعقلوا عن الله أمره(2).

وصدق الشاعر في قوله:

لقد أسمعت لو نـــاديت حياً ولكـــــــــــن لا حياة لمن تنادي

ولو ناراً نفخت بها أضاءت ولكـــــــــــن أنت تنفخ في الرمـــادِ

أريد حياته ويريـــد قتلـــي عذيرك من خليلك من مُراد(3) .

سابعاً: إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله. قال تعالى:﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـــذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة هود الآية:49]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[سورة الأعراف الآية:128]. قال أبو

(1) تفسير البغوي (6 / 275)

(2) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي – (13 / 360)

(3) البيت للشاعر عمر بن معد يكرب. انظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي. المؤلف: أحمد قبش المترجم / المحقق: غير موجود الناشر: دار الرشيد الطبعة: الثالثة 1405 هـــ / 1985 م (112).

حيان الأندلسي: وفي هذا دليل على نبوّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم إذ أخبر بغيوب لم يطلع عليها إلّا من شاهدها ، أو من قرأها في الكتب السابقة ، أو من أوحى اللّه إليه بها. وقد انتفى العيان والقراءة، فتعين الثالث وهو الوحي من اللّه تعالى[1].

وأضاف الدكتور عبد الكريم زيدان رحمه الله مجموعة من الحكم والفوائد في كتابه المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة تتلخص بما يلي:

ثامناً: أن نفقه ما جاء في هذه القصص من أخبار وحقائق.

تاسعاً: بيان مناهج الأنبياء عليهم السلام في الدعوة إلى الله والتزامهم بها وصبرهم عليها والتأسي بهم فيها[2].

قال تعالى: ﴿ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام الآية:90] ، وقال تعالى في إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ سورة الممتحنة الآية 4، وقال تعالى عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[سورة الأحزاب الآية: 21].

عاشراً: **دعوة الناس إلى التفكر** في مصير المؤمنين المهتدين، وأصحاب الجحيم الضالين.

قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ

(1) البحر المحيط تأليف: أبي حيان محمد بن يوسف الشهير الأندلسي، دار الكتب العلمية لبنان بيروت الطبعة الأولى (1422هـ الموافق2001م) تحقيق: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون (3 / 149)

(2) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، الدكتور/ عبد الكريم زيدان، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون عام: 1419-1998م، ص(1/6-8).

يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (177) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[سورة الأعراف الآية: 175-178]. قال أبو حيان: أي: فاسرد أخبار القرون الماضية كخبر بلعام أو من فسّر به المنسلخ إذ هو من القصص الذي لا يعلمه إلا من درس الكتب إذ هو من خفي أخبارهم، ففي إخبارك بذلك أعظم معجز لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فيما جرى على المكذبين، فيكون ذلك عبرة لهم ورادعًا عن التكذيب وأن يكونوا أخبارًا شنيعة تقصّ كما قصّ خبر ذلك المنسلخ [1].

11- بيان أن القرآن الكريم هو كتاب الله لهداية العالمين وفيه الذكرى للذاكرين.

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ [سورة طه الآية: 99-100] ، وقال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية: 2] ، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[سورة الأنبياء الآية: 24]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة العنكبوت الآية: 51] ، وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [سورة ق الآية: 45].

وأما الكافرين والمكذبين فقد قال الله عنهم: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة فصلت الآية: 44].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[سورة يوسف الآية: 111].

(1) البحر المحيط (5 / 225)

وقد ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية أن ما قصه الله من قصص الأمم السابقة فيه عبرة للمؤمنين، تهتدي به قلوبهم من الغي إلى الرشاد، ومن الضلالة إلى السداد، ويبتغون به الرحمة من رب العباد، في هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد[1].

المطلب الخامس

الحكمة من تكرار قصص القران الكريم وفوائدها

ذُكر أن السبع الطوال في القرآن الكريم قد سميت بالسور المثاني؛ لأنها كررت القصص والمواعظ والوعد والوعيد، وقد سميت سورة الفاتحة بالسبع المثاني؛ لأنها تُكرر وتثنى في الصلاة في كل ركعة، ولأنها نزلت مرتين في مكة، وفي المدينة على رأي بعض المفسرين[2].

وقال ابن قتيبة: وقد كانت وفود العرب ترد على رسول الله للإسلام، فيقرئهم المسلمون شيئًا من القرآن، فيكون ذلك كافيًا لهم، وكان يبعث إلى القبائل المتفرّقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثنّاة ومكرّرة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم. فأراد الله بلطفه ورحمته، أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع، ويثبتها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير[3].

ومن خلال قراءة القرآن الكريم فإننا نجد في القرآن الكريم مجموعة من القصص لم ترد إلا مرة واحدة أو في موضع واحد كقصة يوسف عليه السلام وأصحاب الأخدود وأصحاب الكهف وقصة لقمان وذي القرنيين، وفي المقابل فإننا نلاحظ بعض قصص القرآن الكريم يتكرر ذكرها في عدة مواضع كقصة آدم عليه السلام مع إبليس، وكل ذلك يؤكد لنا وجود التكرار في القرآن، و قد قسَّم العلماء التكرار

---

(1) تفسير ابن كثير (4 / 427).

(2) تفسير الطبري (1 / 100) زاد المسير في علم التفسير، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة 1404 هـ (4 / 73)

(3) تأويل مشكل القرآن ، المؤلف: أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، ص 149 باب الكلام والزيادة فيه، الناشر: دار الكتب العلمية– لبنان، الطبعة: الثانية، عام: 2007 .

الوارد في القرآن إلى نوعين:

"**أحدهما: تكرار اللفظ والمعنى:** وهو ما تكرر فيه اللفظ دون اختلاف في المعنى ، وقد جاء على وجوه متعددة : إما تكرار كلمات في سياق الآية ، مثل قوله تعالى: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾[سورة المؤمنون الآية: 36] ، وإما في آخر الآية وأول التي بعدها ، مثل قوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا . قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾[سورة الإنسان الآية: 15-16] ، وإما في أواخرها ، مثل قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً ﴾[سورة الفجر الآية: 21] ، وإما تكرر الآية بعد الآية مباشرة ، مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾ [سورة الشرح الآية:5-6].

وأما المفصول : فيأتي على صورتين : إما تكرار في السورة نفسها ، وإما تكرار في القرآن كله.

مثال التكرار في السورة نفسها : تكرر قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ في سورة "الشعراء" 8 مرات، وتكرر قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ في سورة " المرسلات " 10 مرات ، وتكرر قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ في سورة " الرحمن " 31 مرة.

الثاني : التكرار في المعنى دون اللفظ: .

وذلك مثل قصص الأنبياء مع أقوامهم ، وذِكر الجنة ونعيمها ، والنار وجحيمها[1].

وقد ألف العلماء مجموعة من الكتب في أسرارالتكرار كان من أشهرهم: أسرار التكرار في القران للإمام محمود بن حمزة الكرماني ، وقد طبعته دار الاعتصام – القاهرة –1396، الطبعة: الثانية، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا.

(1) موقع الإسلام سؤال وجواب للشيخ محمد المنجد، على الرابط التالي: https://islamqa.info/ar/82856.

وقد ذكرت الباحثة سكينة عزيز عباس الفتلي خلاصة واستنتاج تتعلق بتكرار القصص بقولها: "إنَّ القصة القرآنية المتكررة إنما تكررت تبعاً لتنوع مقاصدها الرامية إلى أغراض متنوعة ، فللقصة القرآنية – في كل مرة – مقصد يختلف غرضه عن أغراضه في المرات الأخر[1].

وبهذا يمكن القول: إنَّ القصة القرآنية تبعاً لتنوع مقاصدها تتكرر متخذة طرق عرض متنوعة، ومما يؤيد الدلالة القصدية من تكرار القصة القرآنية: أنَّ التكرار من مذاهب العرب، قال القرطبي: قال أكثر أهل المعاني: نزل القرآن بلسان العرب، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التأكيد والإفهام[2].

وهو من محاسن الفصاحة وأبلغ من التأكيد، قال السيوطي: وهو أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة خلافا لبعض من غلط [3].

وقال مصطفى صادق الرافعي عن التكرار: وهو مذهب للعرب معروف ولكنهم لا يذهبون إليه إلا في ضروب من خطابهم ... وكل ذلك مأثور عليهم منصوص عليه في كثير من كتب الأدب والبلاغة، والقرآن في قصصه أروع وأبلغ وأسرى عن الفصحاء من أهل اللغة والمتصرفين فيها، في تكرار الكلام في كل ما يفيده الكلام من مقصد ومبالغة وإبانة وتحقيق. وإنَّ الله جل جلاله كرَّرَ قصة موسى عليه السلام مع قومه في مواضع عدة من القرآن الكريم؛ ليبين في كل موضع منها مقصدا يختلف عن المقصد الآخر [4].

(1) مجلة جامعة بابل/كلية الدراسات القرآنية المجلد 23/ العدد 3/ 2015. بحث الدَّلالَةُ القَصْدِيَّةُ من ظَاهِرَةِ التكرار في القِصَّة القرآنية، الباحثة سكينة عزيز عباس الفتلي، ص1581-1551 .

(2) تفسير القرطبي (20 / 226).

(3) لإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394هـ/ 1974 م (2 / 179)

(4) مجلة جامعة بابل/كلية الدراسات القرآنية المجلد 23/ العدد 3/ 2015. بحث الدَّلالَةُ القَصْدِيَّةُ من ظَاهِرَةِ التكرار في القِصَّة القرآنية، الباحثة سكينة عزيز عباس الفتلي، ص1551- 1581- .

الحكم والفوائد من تكرار قصص القرآن:

1- بيان أهمية تلك القصة، لأن تكرارها يدل على العناية بها. قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[سورة يوسف الآية:111].

2- تأكيد تلك القصة لتثبت في قلوب الناس: قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[سورة الشعراء الآية: 8].

3- مراعاة الزمن وحال المخاطبين ولهذا فإننا نلاحظ الإيجاز والشدة غالباً فيما جاء من القصص في السور المكية والعكس في السور المدنية ...).

4- بيان بلاغة القرآن الكريم في ظهور هذه القصص على هذا الوجه وذلك الوجه بحسب ما يقتضيه الحال.

5- التأكيد على صدق القران الكريم وأنه من عند الله حيث تأتي القصة متنوعة بدون تناقض حتى يتبين لهم أنه الحق.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، فقد وردت بعض الآيات وهي تنسب بعض الأقوال مرة لفرعون وأخرى لقوم فرعون، ففي [سورة الأعراف الآية: 109] قال تعالى: ﴿ **قَالَ الْمَلَأُ** مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ وفي [سورة الشعراء الآية: 34] قال تعالى: ﴿ **قَالَ لِلْمَلَإِ** حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾، فالآية الأولى في سورة الأعراف تنسب القول **للملأ من قوم فرعون** إنهم قالوا لموسى عليه السلام: إنه ساحر، والآية الأخرى في الشعراء تنسب القول **لفرعون**، وعند النظر للآيتين السابقتين قد يتوهم القارئ أنهما مختلفتان، وعند التوفيق بينهما يتبين أنه لا يوجد أي تعارض ولا اختلاف بين الآيتين، **وتوجيههما:** أن **فرعون قالها أولاً** لموسى وهارون، ثم **تبعه قومه** من بعده فقالوها **ثانياً** لموسى وهارون، ويكون بهذا قد زال ما ظاهره التعارض، وكذلك عن وصف قوم فرعون لموسى عليه السلام أنه ساحر **عليم** في [سورة الأعراف الآية: 109] في قوله تعالى:﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا **لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** ﴾، بينما في [سورة يونس الآية: 76] ، وصفوا موسى عليه السلام

أنه ساحر **مبين**، لقوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّ هَذَا **لَسِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾. وفي هذا يقول ابن كثير: أي: قال الملأ – وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون موافقين لقول فرعون فيه، بعد ما رجع إليه رَوْعه، واستقر على سرير مملكته بعد ذلك، قال للملأ حوله: { إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ } فوافقوه وقالوا كمقالته، وتشاوروا في أمره، وماذا يصنعون في أمره، وكيف تكون حيلتهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته، وظهور كذبه وافترائهم، وتخوفوا من معرفته أن يستميل الناس بسحره فيما يعتقدون، فيكون ذلك سبباً لظهوره عليهم، وإخراجه إياهم من أرضهم والذي خافوا منه وقعوا فيه[1].

ويجمع بين الآيتين أن العالم بالسحر أو الساحر العليم يلزم من علمه أن يبين علمه للناس أو ما تعلمه، فلا تعارض بين الآيتين، ويكون بهذا قد زال ما ظاهره التعارض والاختلاف.

وكذلك قول الله:﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ [سورة الرحمن الآية: 39]، مع قول الله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الحجر الآية: 92–93].

وكقول الله:﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ [سورة الكهف الآية: 53]، مع قول الله: ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ [سورة طه الآية: 124–125]، وقول الله: ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [سورة طه الآية: 102].

6- إظهار مزية كلام الله تعالى على كلام البشر–وأنه لا يُمل مهما كررته الألسن–فلا سآمة ولا ملل مع تكرار قراءة قصص القرآن الكريم، وذلك أن كل سورة من سور القصة الواحدة المتكررة تؤدي معاني مقصودة، وتوحي بإيحاءات مرسومة تناسب السياق ولحظة الخطاب[2].وقد قال صلى الله عليه وسلم في وصف كتاب الله تعالى:(وهو الصراط

(1) تفسير ابن كثير (3 / 455)

(2) معجم علوم القرآن: علوم القرآن، التفسير، التجويد، القراءات؛ المؤلف: إبراهيم محمد الجرمي؛ حالة الفهرسة: غير مفهرس الناشر: دار القلم؛ سنة النشر: 1422 – 2001.

المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه)[1].

7- ومن فوائد تكرار القصص في أماكن التأكيد على أن تلك القصة سيتكرر وقوعها في كل زمان ومكان، وسيكون لها شواهد في حياتنا الواقعية.

8- إشهار تلك القصص حتى تنتشر في أطراف الأرض: قال ابن قتيبة: وكانت وفود العرب ترد على رسول الله للإسلام، فيقرئهم المسلمون شيئًا من القرآن، فيكون ذلك كافيًا لهم، وكان يبعث إلى القبائل المتفرّقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثنّاة ومكرّرة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم. فأراد الله بلطفه ورحمته، أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع، ويثبتها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير[2].

9- ومن أسرار وفوائد تكرار القصص: أن كل قصة أعيدت في موطن فلمناسبتها ذلك الموطن، ولذلك ترى اختلافاً في ترتيب القصة ونظمها بحسب المناسبة وإن كانت متحدة في أصل المعنى) [3].

ومن خلال الفوائد والحكم السابقة يتبين أن القصص قد تكررت في عدة مواضع في آيات القصص القرآني، وكذلك وقع التكرار في ذكر بعض الأحكام.

وأما قول الزركشي بأن القصص تكررت لأنها ليست في الأحكام فإن هذا ليس على عمومه، فإن الأحكام قد تكررت في مثل قول الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ

(1) الجامع الصحيح، تأليف: أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي بيروت بلا تاريخ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون (5 / 172) 2906.

(2) تأويل مشكل القرآن ، المؤلف: أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، ص 149 باب الكلام والزيادة فيه، الناشر: دار الكتب العلمية- لبنان، الطبعة: الثانية، عام: 2007 .

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - 1415هـ - 1995 م تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي: 14/1.

إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة المائدة الآية: 6] وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [سورة النساء الآية: 43].

وكذلك حصل تكرار في الآيات التي تبين حكم في الخمر وحكم بعض الأطعمة.

وفي المقابل فإن هناك آيات ليست في الأحكام، ومع ذلك تأتي هذه المواضع على طريق الإيجاز والاختصار، فأحياناً يذكر القرآن الكريم بعض القصص ويترك ما يدل عليه الكلام المذكور، وذلك مثل قوله تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ(45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف الآية: 46]، فهنا قال: فأرسلون. أي فأرسلوني إليه لآتيكم بتفسير رؤياكم.

وكذلك في قصة موسى مع فتاه عندما التقيا بالخضر لم يذكر مصير الفتى، وقد قال ابن كثير عندما انتهى من تفسير قصة موسى مع الخضر بقوله: فإن قيل: فما بال فتى موسى ذكر في أول القصة ثم لم يذكر بعد ذلك؟ فالجواب أن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسى مع الخضر، وذكر ما كان بينهما، وفتى موسى معه تبع [1].

وكذلك في قصة موسى حيث قال الله تعالى: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ (45) قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (5 / 188).

رَبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ [سورة طه الآية: 47] فإن الله قد ذكر لنا ما فيه نفع لنا ونحتاجه في حياتنا، سواء كان من أول القصة أو من وسطها أو من آخرها.

وكل هذا يؤكد لنا الحكم من تكرار قصص القرآن في عدة مواضع من جهة وكذلك الايجاز والاختصار في عرض بعض القصص من جهة أخرى لتكون عظة وعبرة وبيان محل الشاهد ونقله على أحسن وجه بكماله وتمامه.

المبحث الثاني

منهج الجمع بين ما يتوهم أنه متعارض ومتناقض من الآيات وتطبيقه على قصة نبي الله آدم عليه السلام

وقبل الدخول في بيان الآيات التي توهم البعض وقوع التعارض والاختلاف فيها نبين معنى التعارض:

تعريف التعارض: "وأما التعارض فهو أن تتقابل آيتان بحيث يمنع مدلول إحداهما مدلول الأخرى، كأن تكون أحداهما مثبتة والأخرى منفية، فهذا هو التعارض وحاشا أن يكون ذلك في القرآن الكريم.

ولا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما خبري، لأنه يلزم كون إحداهما كذباً، وهو مستحيل في أخبار الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء الآية: 87] ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء الآية: 122] ولا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما حكمي؛ لأن الأخيرة منهما ناسخة للأولى، قال الله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة الآية: 106] وإذا ثبت النسخ كان حكم الأولى غير قائم ولا معارض للأخيرة.

وإذا رأيت ما يوهم التعارض من ذلك، فحاول الجمع بينهما، فإن لم يتبين لك وجب عليك التوقف، وتكل الأمر إلى عالمه"[1].

ومن خلال تعريف معنى التعارض يتبين أن آيات القرآن لا يمكن أن يقع فيها شيء من ذلك، وهذا سيأتي بيانه من خلال المطلب التالي الذي يبين المنهجية الكاملة للجمع بين الآيات الموهم ظاهرها التعارض، وبيان أقسامها من خلال ما كتبه كبار أئمة التفسير وإجماع أهل العلم مستدلين على ذلك بأدلة نقلية من الكتاب والسنة، ومستعينين على ذلك بإجماع أهل العلم، ومستندين على اللغة العربية لبيان الكلمة ومدلولاتها وبيان أوجهها لإزالة كل ما يتعلق بموهم التعارض والاختلاف في آي قصص القرآن وغيرها، وسيكون الكلام في هذا المبحث في ثمانية مطالب كما يلي:

---

(1) تفسير الفاتحة والبقرة المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ) الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1423 هـ، ص:(52/1).

المطلب الأول

منهجية الجمع بين الآيات التي ظاهرها التعارض

وأما المنهجية الكاملة فيما يتعلق بالجمع بين الآيات المتعلقة بموهم التعارض والاختلاف وأقسامها فقد بين ذلك الإمام السيوطي بقوله: قال الأستاذ أبوإسحاق الإسفرايني: إذا تعارضت الآي وتعذر فيها الترتيب والجمع طلب التاريخ وترك المتقدم بالمتأخر، ويكون ذلك نسخًا وإن لم يعلم وكان الإجماع على العمل بإحدى الآيتين علم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها.قال: ولا يوجد في القرآن آيتان متعارضتان تخلوان عن هذين **الوضعين**.

قال غيره: وتعارض القراءتين بمنزلة تعارض الآيتين نحو: ﴿أرجلَكم﴾ و (أرجلِكم﴾ [سورة المائدة الآية: 6] بالنصب والجر ولهذا جمع بينهما بحمل النصب على الغسل والجر على مسح الخف. وقال الصيرفي: جماع الاختلاف والتناقض أن كل كلام صح أن يضاف بعض ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض، وإنما التناقض في اللفظ ما ضاده من كل جهة ولا يوجد في الكتاب والسنة شيء من ذلك أبدًا، وإنما يوجد فيه النسخ في وقتين.

وقال القاضي أبو بكر: لا يجوز تعارض آي القران والآثار وما يوجبه العقل فلذلك لم يجعل قوله: ﴿ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الزمر الآية: 62] معارضًا لقوله: ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [سورة العنكبوت الآية: 17]﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾ [سورة المائدة الآية: 110] لقيام الدليل العقلي أنه لا خالق غير الله فتعين تأويل ما عارضه فيؤول (وتخلقون) على (تكذبون) و(تخلق) على (تصور).

فائدة: قال الكرماني عند قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء الآية: 82] الاختلاف على وجهين: اختلاف تناقض وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر وهذا هو الممتنع على القرآن.

واختلاف تلازم وهو ما يوافق الجانبين كاختلاف مقادير السور والآيات واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ والأمر والنهي والوعد والوعيد[1].

أول من أثار فتنة التعارض بين النصوص القرآنية:

إن أول من آثار فتنة التناقض هم الخوارج وعلى رأسهم نافع بن الأزرق زعيم الأزارقة[2]. فقد سألوا ابن عباس عن بعض الآيات كما جاء عن سعيد بن جبير قوله: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: أشياءُ تختلفُ علي في القرآن؟ فقال: ما هو؟ أشك في القرآن؟ قال: ليس بالشك، ولكنه اختلاف! قال: فهات ما اختلف عليك. قال: أسمع الله يقول: (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ [سورة الأنعام: 23]، وقال: (يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا **يَكْتُمُونَ** اللَّهَ حَدِيثًا) [سورة النساء: 42]، وقد كتموا! فقال ابن عباس: أما قوله: (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) ، فإنهم لما رأوا يوم القيامة أن الله يغفر لأهل الإسلام ويغفر الذنوب، ولا يغفر شركًا، ولا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره جحد المشركون فقالوا: (وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) ، رجاءَ أن يغفر لهم، فختم على أفواههم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، فعند ذلك: " يَودّ الذين كفروا وَعصوُا الرسول لو تسوّى بهم الأرضُ ولا يكتمون الله حديثًا "[3].

فعندما يرد على كذبهم أنهم (ما كانوا مشركين) فيوميئذ (تسوى بهم الأرض) فارتفع الأشكال عندما تبين أن السياق مختلف والموقف مختلف والمقام مختلف.

ومن ذلك اختلاف **الموضوع** لإن الحكمين مختلفين اتحاد الجهة أو اتحاد السبب والحكم مثل قوله تعالى: (وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ) [سورة النساء: 129]نفي العدل والثانية

(1) الاتقان في علوم القرآن، المؤلف: الإمام جلال الدين السيوطي،(617-618)، الناشر: مكتبة دار التراث، تحقيق: دكتور محمد متولي منصور جامعة الأزهر، الطبعة: عام 2010م-1431ه.

(2) قال الحافظ: كان هذا الرجل هو نافع بن الازرق الذي صار بعد ذلك رأس الازارقة من الخوارج، وكان يجالس ابن عباس بمكة، ويسأله ويعارضه، المرجع: سير أعلام النبلاء: المؤلف: أبي عبدالله شمس الدين الذهبي، صفحة 2933 .

(3) تفسير الطبري. ص:(85/2).

التلويح فواحدة: (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) [سورة النساء: 3] وذلك محل النفي غير محل الإثبات فما نفي من العدل هو الميل القلبي، وهذا محال فلا تميلو كل الميل أما ما ذكر من نفي العدل فهو توعية بالحقوق فإن علمتم أنكم لن تتمكنو من العدل في النفقة والحقوق فهنا زال التعارض، ويمكن الرجوع إلى المعاني في الوجوه والنظائر وكذلك الغريب.

ومن ذلك أيضا وضع الحمل وإثبات السكر ونفيه في قوله: (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) [سورة الحج: 2] فكيف ننفي السكر ونثبته فهنا اختلاف نفي السكر من شدة الهول يوم القيامة وما هم بسكارى المقصود به السكر الحقيق الذي ينتج عن الشراب.

ومن ذلك أيضاً قوله: (فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) [سورة ق: 22]فبصرك اليوم حديد وقوله: (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ) [سورة الشورى: 45]وينظرون من طرف خفي فالأول يرى كل شيء وهنا أثبت النظر من طرف خفي فهذا يدل على الموقف يوم القيامة فعندما يبرتفع الحجاب ويكشف فأنه يصبح يرى الغيب شهادة أما الآية الثانية طرف خفي فهي رؤيتهم للنار رأي العين نظرة استغاثة.

وكذلك اختلاف الأحوال في قصة آدم عندما بعثنا الله واشهدنا بقوله: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (172) [سورة الأعراف: 172] وأعادنا إلى صلبه وقد جعلها الله من أوليات الأوليات أول قصة وأول خطيئة وأول اعتراض على حكمة الله وأول توبة وأول استفهام بقوله: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [سورة البقرة: 28] وأول نداء عام (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [سورة البقرة: 24] وغيرها.

وكذلك من جهة الحمل على الفعل بقوله: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [سورة الأنفال: 17] وما رميت إذ رميت فهل حفنة التراب قتلت

الجيش، فمرة نفى الرمي ومرة أثبته فمحله في الأولى تسبب فعله وفي الثانية فعل الله المعجز فعل حقيقي وفيه التاثير والمعجزة من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم[1].

وقال الشيخ السعدي: وإن الآيات التي يفهم منها التعارض والتناقض ليس فيها تناقض ولا تعارض، بل يجب حمل كل منها على الحالة المناسبة اللائقة بها، وأن حذف المتعلقات من مفعولات وغيرها يدل على تعميم المعنى؛ لأن هذا من أعظم فوائد الحذف، وأنه لا يجوز حذف ما لا يدل عليه السياق اللفظي والقرينة الحالية[2].

المطلب الثاني

الآيات المتحدثة عن خلق آدم عليه السلام:

إن الآيات المتحدثة عن مراحل خلق آدم عليه السلام من تراب ومن طين، ومن طين لازب، ومن صلصال كالفخار، ومن صلصال من حمأ مسنون قد تشكل على بعض المبتدئين في تعلم العلم، وقد أزال العلماء هذا الإشكال والتوهم في كتب التفسير وعلوم القرآن، ومن أهم المؤلفات الحديثة في هذا الباب دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لفضيلة الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي.

وقد ذكر الزركشي في البرهان أن من أسباب الاختلاف في مشكل القرآن وموهمه وقوع المخبَر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى، كقول الله في خلق آدم أنه من تراب، ومرة من حمأ مسنون، ومرة من طين لازب، ومرة من صلصال كالفخار، فهذه ألفاظ مختلفة، لأن الصلصال غير الحمأ، والحمأ غير التراب، ولكن مرجعها كلها إلى جوهر، وهو التراب، ومن التراب تدرجت هذه الأحوال[3]. ولذلك فإن

(1) شرح كتاب الإتقان الشيخ مصطفى البحياوي الحلقة العاشرة من الدقيقة الثالثة إلى النصف الساعة.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن السعدي، مكتبة العبيكان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ص:(942).

(3) الاتقان في علوم القرآن ص: 77.

من أهم العلوم في دراسة تفسير القرآن بالقرآن معرفة طرق "الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف، كما ورد في قصة خلق آدم، فإن هذا ذكر للأطوار التي مر بها آدم من مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه [1]".

يقول الإمام السيوطي رحمه الله: والمراد بمشكل آيات القرآن ما يوهم التعارض بين الآيات وكلامه تعالى منزه عن ذلك كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء الآية: 82] ، ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافاً وليس به في الحقيقة فاحتيج لإزالته[2]، ولذلك فإن جميع الآيات التي تحدثت عن خلق آدم عليه السلام متوافقة ومتكاملة ومنسجمة، وكل آية تتحدث عن مرحلة من مراحل خلقه، وقد مر خلق آدم عليه السلام بخمس مراحل على النحو التالي:

1- **المرحلة الأولى:** خلقه من حفنة تراب الأرض، قال تعالى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[سورة آل عمران الآية: 59].

وروي الترمذي وأبو داوود عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب وبين ذلك)[3].

وهذا الحديث يعلل سر اختلاف الناس في ألوانهم بسبب اختلاف تراب الأرض، وكذلك فيه تعليل لاختلاف طبائعهم النفسية ومشاعرهم بسبب اختلاف طبيعة التراب بين الشدة والليونة.

2-**المرحلة الثانية:** خلقه من طين، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ ﴾[سورة ص الآية: 71].

---

(1) التفسير والمفسرون، المؤلف: د. محمد حسين الذهبي،(30/1).

(2) الإتقان في علوم القرآن - (2 / 72)

(3) السنن ، تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، دار الفكر تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (4 / 358) 4695 سنن الترمذي (5 / 204) 2955 وقال حسن صحيح

ولذلك فإن إبليس لما رفض أمر الله بالسجود لآدم احتج بخلق الله لآدم من طين، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [سورة ص الآية: 76] ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾[سورة الأعراف الآية: 12].

3-**المرحلة الثالثة:** خلقه من طين لازب، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾[سورة الصافات الآية: 11].

واللازب/ هو الثابت المتماسك شديد الثبوت كما قال الراغب[1]، وهذه المرحلة تم فيها تحويل الطين الرخو بعد خلطه بالماء إلى متماسك غليظ كثيف وذلك تمهيداً لتجميده وتيبيسه.

.4-**المرحلة الرابعة:** خلقه من صلصال من حَمَإٍ مسنون قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [سورة الحجر الآية: 26]، وقد اعترض إبليس على ذلك كما قال تعالى: ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [سورة الحجر الآية: 33].

والصلصال: مأخوذ من الصل وهو الصوت قال الراغب الصلصال هو تردد الصوت في الشيء اليابس[2] والحمأ المسنون: الذي قد تغير وأنتن [3]. وسمي الطين الجاف صلصالاً، وأما الحَمَإ: فهو الطين الأسود المنتن، والمسنون: هو المتغير[4]، وهذه المرحلة هي نتيجة للمراحل السابقة طين أسود متغير جاف.

5-**المرحلة الخامسة:** خلقه من صلصال كالفخار قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [سورة الرحمن الآية:14].

---

(1) المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار المعرفة لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني (1 / 739).

(2) مفردات القرآن للراغب (1 / 488).

(3) تفسير الطبري (14 / 61).

(4) مفردات القرآن للراغب (1 / 259)

والصلصال: هو الطين اليابس، وسمي صلصالاً؛ لأنه إذا نقرت فيه يصل أي يخرج صوتاً. قال الطبري: والصلصال : التراب اليابس الذي يسمع له صلصلة فهو كالفخار [1]، والفخار: ما يبس بالطبخ بالنّار [2] فخلاصة خلق آدم تراب مخلوط بماء فتحول إلى الطين وإذا طال صار لازباً متماسكاً التصق بعضه ببعض فإذا طال صار مسنوناً متغير الريح، فإذا أصابه الريح والحر وجف صار صلصالاً له صلصلة إذا نقرته سمعت له صوتاً فهي أحوال لأصل واحد، وإنما بين القرآن كل تلك الأحوال لكل مرحلة من مرحل خلقه وخلاصتها أنه يمكن دفع التناقض بمعرفة أحواله المختلفة، ومن لا يلتفت إلى الأحوال يحصل عنده التناقض فلا تعجل بالقرآن بمجرد القراءة فكيف بالبيان فلا بد من التأمل والتدبر والتأني وإطالة النظر حتى تحصل على الجواب الكامل.

وبعد ما مر آدم عليه السلام بهذه المراحل بالترتيب نفخ الله فيه الروح، فكل هذه المراحل تؤكد عدم التعارض بين آيات القرآن التي تحدثت عن خلق آدم عليه السلام فكل مرحلة متممة للمرحلة السابقة[3]، وصدق الله القائل: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة آل عمران الآية: 62-63].

وأما بقية مراحل خلق بقية البشر فقد ذكرها الله بقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [سورة المؤمنون الآية: 12-14].

---

(1) تفسير الطبري (22 / 193)

(2) التحرير والتنوير، تأليف: محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى عام((1420هـ الموافق 2000م) (14 / 41).

(3) مواقف الأنبياء في القرآن الكريم -تحليل وتوجيه، المؤلف: د. صلاح عبدالفتاح الخالدي(18)، الناشر: دار القلم-دمشق، الطبعة الأولى عام 1424هـ-2003م.

المطلب الثالث

توجيه إخبار الله للملائكة عن جعل آدم خليفة في الأرض.

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً **قَالُواْ أَتَجْعَلُ** فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية: 30].

تعريف الاستشارة:

أما الاستشارة في اللغة فقد جاء في معجم المعاني تعريف الاستشارة على النحو التالي: استشارَ يَستشير، استشِرْ ، استشارةً ، فهو مُسْتَشير ، والمفعول مُستشار، واسْتَشَارَهُ فِي أَمْرٍ يَهُمُّهُ أي: طَلَبَ رَأْيَهُ، وطَلَبَ مِنْهُ الْمَشُورَةَ[1]. وقد أمر الله نبيه بقوله: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [سورة آل عمران الآية: 159]. وأثنى على من عمل بها من خلقه بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [سورة الشورى الآية: 38].

وبين منهج موسى عليه السلام في الاستشارة بقولة: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [سورة الشعراء الآية: 35] وملكة سبأ استشارت قومها قبل ردها على رسالة سليمان عليه السلام بقولها ﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [سورة النمل الآية: 32]، وملك مصر عندما أراد تفسير رؤياه بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾ [سورة يوسف الآية: 43].

فهل ما قاله الله للملائكة كان من باب الاستشارة والشورى؟

قد قيل : إن هذا من باب الاستشارة، وإن الله طلب من الملائكة رأيهم فرد عليه الملائكة معترضين، وهذا الكلام مردود؛ لأن الله لا يستشير الملائكة ولا أحداً من خلقه فيما سيفعله ويريده، ولا شورى بين الله وخلقه إلا على وجه التكريم أو التعليم، لا على وجه التعرف على ما خفي عنه تعالى الله عن ذلك، لأن المستشير قد تخفى عليه بعض الأمور فيطلب من المستشار ما عنده ليعرف وجه الصواب فيها،

(1) القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة بيروت، بلا (1 / 540).

والله عالم بكل شيء ولا تخفى عليه خافية، والخلاصة أن الله لا يستشير الملائكة ولا يطلب منهم رأياً ولا تحليلاً.

قال ابن عاشور: وقول الله هذا موجه إلى الملائكة على وجه الإخبار، ليسوقهم إلى معرفة فضل الجنس الإنساني، على وجه يزيل ما علم الله أنه في نفوسهم من سوء الظن بهذا الجنس، وليكون كالاستشارة لهم تكريما لهم، فيكون تعليماً في قالب تكريم، مثل إلقاء المعلم فائدة للتلميذ في صورة سؤال وجواب، وليسنّ الاستشارة في الأمور، ولتنبيه الملائكة على ما دق وخفي من حكمة خلق آدم، كذا ذكر المفسرون[1].

وقال الشوكاني: قيل: خاطب الله الملائكة بهذا الخطاب؛ لا للمشورة، ولكن لاستخراج ما عندهم. وقيل: خاطبهم بذلك لأجل أن يصدر منهم ذلك السؤال، فيجابون بذلك الجواب، وقيل لأجل تعليم عباده مشروعية المشاورة لهم[2].

ويمكن توجيه هذه الآية أن الله أخبر الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة فهو من باب التكريم للملائكة ليعرفوا ما سيفعله قبل أن يفعله فلا يفاجؤون به، وهذا تفضل من الله على الملائكة وتكريم لهم فهو إخبار وإعلام ليس إلا؛ للآتي: أن الإخبار جاء بصيغة الجزم **إني جاعل**، وجاعل اسم فاعل يدل على القرار الحاسم الجازم، فلم يقل لهم إني **سأجعل** في الأرض خليفة، وأنه عبر عن ما سيكون باسم الفاعل قبل أن يكون؛ لأنه سبحانه وتعالى أراد ذلك وطالما أراد فلا بد أن يحصل ويتحقق؛ لأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا رادَّ لأمره سبحانه[3].

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص(400/1).

(2) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر بيروت ص(462/11).

(3) مواقف الأنبياء في القرآن الكريم (16) مصدر سابق.

المطلب الرابع

ما قاله الله للملائكة وما قالوه له هل يسمى حواراً؟

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية: 30].

تعريف الحوار:

الحوار لغة: حاوَرَهُ مُحاورةً، وحوارًا: جاوبَه، وجادَلَهُ، وفي التنزيل: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [سورة الكهف الآية: 37]. وتَحاورُوا: تراجَعُوا الكلامَ بينهم. و تجادلوا. وفي التنزيل: ﴿ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوركُمَا﴾ [سورة المجادلة الآية: 1] [(1)].

الحوار يحصل بين الأطراف المختلفة المتساوية في مستواها، ويكون بينهما اختلاف في الآراء وتنازع في وجهات النظر، فتلتقي وتتحاور وتتناقش ويطرح كل طرف ما عنده ثم ينتهي اللقاء بالاتفاق على رأي معين.

وعليه فلا مساواة بين الخالق والمخلوق، فالله الخالق له العظمة والجلال، فهو الذي يأمر ولا يؤمر، ويَحكم ولا يُحكم وهو الذي يخلق ولا يُخلق ويهدي ولا يُهدى، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية: 54]، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [سورة الرعد الآية: 41]. ولم يكن هنالك خلاف ولا نزاع بين الله والملائكة أرادوا حله عن طريق الحوار؛ لأن الله يخبر ويقدر ويريد ويأمر والملائكة ينفذون.

ومثل هذا لا يسمى حواراً في الحقيقة إلا على سبيل التجوَّز، وإنما هو إخبار من الله للملائكة عما سيفعله، فاستفهموا عن ذلك بقولهم أتجعل فيها؟ فأجابهم الله بقوله: إني أعلم مالا تعلمون[(2)].

وهناك من أراد جعل هذه الآية دليلاً له على الهجوم على المسائل العلمية والخوض فيها لغير متخصص فيها، ثم يريد من العلماء أن يحاوروه على غير قانون الحوار وأصول الاستدلال، ثم يستدل

---

(1) المعجم الوسيط (1 / 205) مرجع سابق.

(2) مواقف الأنبياء في القرآن الكريم (17) مصدر سابق.

لذلك بأن الله قد حاور الملائكة وهو بكل شيء عليم، ولا علم للملائكة إلا ماعلمهم الله تعالى، أو يتعلل بأن الله قد حاور إبليس في القرآن.

والرد على هذا: أن ما قصه الله في القرآن عن الملائكة إن قيل بأنه حوار فهو على سبيل التجوز، لا أنه حوار يراد به معرفة من هو على الحق حاشا لله من ذلك، وعلى تسميته حواراً تجوزاً فإنه لا يدل على تجاوز أصول الحوار وإلغاء التخصص عند الحوار، وانتداب العلماء لمناقشة كل صاحب شبهة لا يراعي أصول الحوار، ولم يأخذ العلم على أصوله، وأغلب المفسرين لم يسموا ما جاء في قصة الملائكة وقصة إبليس حواراً مع الله تعالى، وإن كان هناك من أطلق على هذا بأنه حوار، كقول الطبري: الخليفة الذي أخبر الله جل ثناؤه أنه جاعله في الأرض لا غيره؛ لأن المحاورة بين الملائكة وبين ربها عنه جرت[1]. وكقول أبي السعود: وقد بينا في سورة البقرةِ أن ذلك ظهورُ فضلِ آدمَ عليه السلام بعد المحاورة المسبوقةِ بالإخبار باستخلافه عليه السلام[2]. فالطبري وأبو السعود أطلقا على هذا حواراً على سبيل التجوز، وليس معناه التبرير لطرح كل القضايا للحوار والنقاش، فمن القضايا ما تكون قطعيةً لا يصح طرحها للتحاور أصلاً، ومنها ما تكون محل نقاش وخلاف، فتطرح للحوار بين أهل العلم المستوفين لشروط العلماء، ولديهم أهلية للحوار عبر أصول العلم وقواعده، فكلام الملائكة لم يكن حواراً بمعنى مراجعة الكلام لمعرفة من هو على الحق تعالى الله عن ذلك، بل ذكر أهل التفسير أن كلام الملائكة هنا إنما كان على جهة الاستفهام المحض[3]، وأنهم إنما قالوه لاستعلام وجه الحكمة، لا على وجه الاعتراض[4].

---

(1) تفسير الطبري (1/ 480) مصدر سابق.

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت (3/ 215).

(3) تفسير القرطبي (1/ 274) مصدر سابق.

(4) زاد المسير في علم التفسير (1/ 50) مصدر سابق.

المطلب الخامس

وجه استفهام الملائكة عن استخلاف آدم

قال تعالى:﴿ قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية: 30].

قال الشوكاني: قال جماعة من المفسرين: إن ظاهرها أنهم استنكروا استخلاف بني آدم في الأرض، لكونهم مظنة للإفساد في الأرض، وإنما قالوا هذه المقالة قبل أن يتقدم لهم معرفة ببني آدم، بل قبل وجود آدم، فضلاً عن ذريته، لعلم قد علموه من الله سبحانه بوجه من الوجوه، لأنهم لا يعلمون الغيب[1].

وقال مكي بن أبي طالب: قوله تعالى:{أتجعل فيها} الألف ألف الاسترشاد، وسؤال عن فائدة وليس هو إنكاراً، ولفظه لفظ الاستفهام. وقيل: هو تعجب تعجبت الملائكة من قدرة الله[2].

وقال الخالدي: ذهب فريق من أهل التفسير إلى أن الاستفهام هنا للإنكار، وأن الملائكة أنكروا على الله هذا الفعل واعترضوا على استخلاف آدم ورأوا أنهم أولى منه بالاستخلاف، وأنهم الأحق والأجدر، وأن هذا الخليفة سيفسد في الأرض ويسفك الدماء بينما هم يسبحون بحمد ربهم ويقدسونه فلماذا استبعدهم الله عن الاستخلاف واختار مكانهم آدم وذريته ولذلك اعترضوا بقولهم أتجعل على سبيل الإنكار.

وهذا الكلام خطير وفيه خطأ كبير لا يجوز أن يفسر به سؤال الملائكة لأن الله خلقهم مطيعين عابدين له فلا يعصونه ولا يخالفونه ولا ينكرون عليه فعله ولا يعترضون عليه قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ **لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [سورة التحريم الآية: 6].وقال تعالى: ﴿ **لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ** وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأنبياء الآية: 27].

---

(1) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، ص(462/11).

(2) مشكل إعراب القرآن، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1405 (1/ 85).

فقد كان سؤال الملائكة على سبيل الاستعلام والاستكشاف عن الحكمة من خلق آدم، وليس على وجه الاعتراض ولا على وجه الحسد لآدم وذريته، من كانت هذه صفاتهم الفطرية لا يعترضون على الله ولا ينكرون عليه فعله فلا يمكن أن يكون الاستفهام للإنكار[1].

ويمكن توجيه سؤال الملائكة أنهم أرادوا أن يعرفوا الحكمة من استخلاف آدم، وذلك من باب العلم وزيادة اليقين لأنهم يوقنون بحكمة الله تعالى في أفعاله، وأن استخلاف آدم عليه السلام هو الصواب، ولكنهم لا يعرفون وجه الصواب، فسألوا الله عن ذلك من باب الاستفهام وكأنهم يقولون يا ربنا أخبرنا عن الحكمة من استخلافك لآدم لنعرفها ونزداد بذلك علماً ويقيناً، فأجابهم الله على سؤالهم مبيناً لهم الحكمة من استخلاف آدم بقوله: إني أعلم ما لا تعلمون[2].

المطلب السادس

وجه إخبار الملائكة بإفساد الخليفة وسفكه للدماء

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية: 30].

أجاب البعض جواباً عقلياً لا دليل عليه، وهو أن الملائكة سألوا الله ماذا سيكون من ذلك الخليفة؟ فقال لهم الله: إنه سيفسد في الأرض ويسفك الدماء، فعند ذلك قالوا له: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وهذا لا دليل عليه، وكذلك لا يصح قول من قال: إن الأرض قد سكنها قبل آدم من الجن أو الشياطين أو مخلوقات أخرى غير البشر. ولأهل التفسير أقوال:

القول الأول: أنهم علموا ذلك بتوقيف الله تعالى[3].

---

(1) مواقف الأنبياء في القرآن الكريم (19) مصدر سابق.

(2) مواقف الأنبياء في القرآن الكريم (19) مصدر سابق.

(3) قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد وابن قتيبة. زاد المسير في علم التفسير (45/1) و تفسير القرطبي – (1 / 275).

القول الثاني: أنهم قاسوه على أحوال من سلف قبل آدم على الأرض. [1].

القول الثالث: أنهم فهموا ذلك من الطبيعة البشرية[2].

القول الرابع: أنهم فهموا من قوله تعالى (خليفة) أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ، ويردعهم عن المحارم والمآثم[3] .

وتوجيه ذلك أن كلام الملائكة كان من باب التوقع والاستشراف والفراسة والفطنة ودقة الملاحظة وبُعد النظر، فإنهم حينا رأوا مراحل خلق آدم عليه السلام من التراب والطين ولاحظوا طبيعة عنصر الأرض توقعوا أنه سيتأثر بهذا العنصر الأرضي الترابي، ولذلك سيفسد في الأرض ويسفك الدماء، فحينما لاحظوا ذلك بفراستهم الإيمانية والنورانية الحية فسألوا عن ذلك أي: يا ربنا أنت خلقت هذا الخليفة من التراب وهو سيتأثر بذلك وسيفسد في الأرض ويسفك الدماء، وقد كانت فراستهم في ذلك صحيحة وحقيقية فإن الله قد أقرهم على قولهم ولم يخطئهم على ذلك بقوله: **إني أعلم ما لا تعلمون.** بمعنى أنا أعلم أن هذا الخليفة سيفسد في الأرض ويسفك الدماء ولكنه وحده هو الذي يصلح لان يكون حليفة في الأرض رغم ذلك الفساد.

وقد انطبق هذا الكلام على أبْنَيْ آدم عليه السلام في حياته، فقد قام قابيل بقتل هابيل ظلماً وعدواناً، وكم قد ظهر فاسدون وسفاكون للدماء في عصرنا هذا وفي كل عصر، فكانت فراسة الملائكة صادقة[4].

(1) روي هذا عن ابن عباس وأبي العالية ومقاتل. انظر: زاد المسير في علم التفسير (45/1).
(2) التحرير والتنوير (1 / 389).
(3) تفسير القرطبي – (1 / 274).
(4) مواقف الأنبياء في القرآن الكريم (20–21) مصدر سابق.

المطلب السابع

هل آدم –عليه السلام– خليفة لأمة قبله؟

عرف الراغب الخلافة في كتابه المفردات بأنها: هي النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتكريم المُستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أوليائه في الأرض[1]، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية: 30].

والسؤال هو: آدم عليه السلام خليفة لمن؟ أو خليفة عن من؟

وللجواب عن ذلك يقول الدكتور الخالدي: ذهب بعض الإخباريين والمفسرين إلى بعض الإسرائيليات التي تتحدث عن سكان الأرض قبل آدم الذين صار آدم خليفة لهم وأوردو روايات غير ثابتة ولم ترد في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والظاهر: أنه لم يكن سكان في الأرض قبل آدم لا من الأنس ولا من الجن، ولا من غيرهما من المخلوقات الحية العاقلة، ولا توجد أحاديث صحيحة أو مرفوعة تؤيد ذلك.

وتوجيه هذه الآية: أنه لم تكن مخلوقات عاقلة على الأرض قبل آدم عليه السلام ليكون آدمُ خليفة عنهم، وأن آدمُ هو أول مخلوق حي عاقل أُنزل على الأرض، ولذلك لم يكن آدم عليه السلام خليفة عن أي أُناس قبله.

وقد يتساءل البعض هل يجوز أن نقول: كان آدم خليفة الله في الأرض:

1- منع بعض العلماء ذلك، وذهبوا إلى عدم الجواز؛ لأن الله لا يحتاج إلى خليفة له في الأرض، فهو قائم عليها مدبر لكل شيء فيها أحاط بها علماً وسمعاً وبصراً لا يغيب عنها لحظة، ولذلك لا يحتاج إلى خليفة له فيها.

(1) مفردات القرآن للراغب (1 / 294) مصدر سابق.

2- وذهب بعض العلماء إلى جواز ذلك، ومن ثم قالوا: آدم عليه السلام خليفة لله في الأرض ثم قال الدكتور الخالدي: ونحن مع هؤلاء في جواز صحة هذه العبارة، وليس معنى اعتبار آدم خليفة لله أن الله يحتاج إلى من يخلفه أو انه يغيب عنها ليخلفه غيره فيها -تعالى الله عن ذلك- فالله قد أحاط بالأرض وبكل شيء علماً وسمعاً وبصراً[1].

وأما استخلاف الله لآدم عليه السلام فهو تكريم منه سبحانه وتعالى لآدم ليقوم هو وذريته من بعده باستصلاح الأرض وتعميرها، وإدارتها وقيادة باقي المخلوقات الحية عليها التي سخرها الله له، وجعل مهمته عليها مع حضور الله وقيامه على كل شيء فيها قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[سورة هود الآية: 61]، ومعنى أنشأكم من الأرض أي: خلقكم من آدم وآدم من الأرض، واستعمركم فيها أي عمركم في الأرض وجعلكم سكانها [2].

ولا يشترط في الخليفة غياب المستخلِف فقد يكون المستَخلِفُ موجوداً، ومع ذلك يكرم المستَخلفَ ويعطيه صلاحيات تحت إشرافه كما في التعريف السابق للخليفة.

ثم يقول الدكتور/ الخالدي: وبناءً على ما سبق: نرى أن الله سبحانه وتعالى جعل آدم عليه السلام خليفة له في الأرض تكريماً منه له. وأما ذرية آدم عليه السلام فإن الله جعلهم خلائف عن بعضهم بعضاً، فكلما مات جيل خلفه جيل بعده وورث الأرض منه، وصار فيها نائباً عنه [3]. كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ

(1) مجموع فتاوى الإمام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين: فهد بن عبد العزيز، بإشراف الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، 1416هـ الموافق 1995م جمعه: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد (35 / 45) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة المؤلف : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت (1 / 151) ؛ التحرير والتنوير (23 / 141).

(2)تفسير القرطبي (9 / 56) مصدر سابق.

(3) مواقف الأنبياء في القرآن الكريم (21-22) مصدر سابق.

الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الأنعام الآية: 165]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة يونس الآية: 14]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَاراً ﴾ [سورة فاطر الآية: 39].

المطلب الثامن

أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة ص الآية: 71–74] وفي هذه الآية اختلف المفسرون في توجيه السجود هنا هل هو على الحقيقة أم لا؟ قال الرازي: أجمع المسلمون على أن ذلك السجود ليس سجود عبادة لأن سجود العبادة لغير اللّه كفر والأمر لا يرد بالكفر ثم اختلفوا بعد ذلك على ثلاثة أقوال : الأول أن ذلك السجود كان للّه تعالى وآدم عليه السلام كان كالقبلة، القول الثاني فهو أن السجدة كانت لآدم عليه السلام تعظيماً له وتحية له كالسلام منهم عليه، القول الثالث : أن السجود في أصل اللغة هو الانقياد والخضوع[1] وهنا يرد سؤال: كيف شمل إبليس خطاب الله للملائكة مع أنه كان من الجن؟

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [سورة الحجر الآية: 28–32].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة الآية: 34].

(1) مفاتيح الغيب (2 / 427)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [سورة الكهف الآية: 50].

وللجواب على هذا السؤال قال صاحب الكشاف: إنما تناوله الأمر وهو من الله للملائكة خاصة؛ لأن إبليس كان في صحبتهم(1).

قال الدكتور الخالدي: فقد كان ابليس مأموراً بالسجود لآدم وشمله الخطاب كما قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [سورة الأعراف الآية: 12]، وبما أن ابليس من الجن فإن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾[سورة البقرة الآية: 34] استثناء منفصل–كما يقول أهل النحو–أي أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه(2).

لأنه قد جاء في الحديث الصحيح عند مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار....وخلق آدم مما وصف لكم)(3). يعني: من طين كما وصف الله في القرآن، والنصوص تؤكد أن إبليس تناولته الخطاب، وقد خصه الله بعتابه بقوله: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾[سورة الحجر الآية: 32].

نتائج البحث:

1- إن الطريق الأول لفهم قصص القرآن هو القيام بجمع الآيات المتعلقة بالقصة من جميع سور القرآن في موضع واحد، وتناول كل قصة على انفراد، وتحليلها تحليلا لفظياً مستعيناً ببقية العلوم وفقاً لمناهج أهل التفسير.

---

(1) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (3 / 91).

(2) مواقف الأنبياء في القرآن الكريم (29) مصدر سابق.

(3) صحيح مسلم تأليف: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (8 / 226) برقم: 7687.

2- إن السبيل الوحيد لفهم آيات قصص القرآن هو الاعتماد على تفسير القرآن بالقرآن ثم القرآن بالسنة وبأقول الصحابة الذين عايشوا الرسول صلى الله عليه وسلم وشاهدوا مراحل تنزيل القرآن.

3- الاعتماد على صحيح المأثور من الأحاديث والآثار لفهم وتفسير آيات قصص القرآن.

4- أن تكون كتب اللغة العربية ومعاجمها الصحيحة هي المرجع الأساس في تفسير وفهم مفردات القصة وألفاظها ومصطلحاتها ومشتقاتها وتصاريفها أيام نزول القرآن.

5- الاعتماد على كتب التفاسير التي تعتمد في تفسيرها على الروايات الصحيحة لتقديم التفسير الإجمالي لكل قصة بحسب سورها وآياتها، وترتيبها الزمني والمكاني، وكل ما يتعلق بها.

6- إذا تعارضت الآي وتعذر فيها الترتيب والجمع طلب التاريخ وترك المتقدم بالمتأخر ويكون ذلك نسخاً.

7- إذا لم يُعلم التاريخ وكان الإجماع على العمل بإحدى الآيتين عُلم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها.

8- الجمع والتوفيق بين ما يتوهم أنه متعارض من خلال المناهج المعتبرة في تفسير كلام الله، ومن خلال جمع وتصنيف الآيات المتعلقة بكل قصة من القصص على انفراد وبيان ما أبهم فيها.

9- دراسة دلالات الألفاظ في آيات القصص ومدلولاتها في إطار السياق القرآني لكل قصة.

توصيات:

- عقد المؤتمرات لمناقشة المواضيع المتعلقة ببعض الشبهات المتعلقة بقصص القرآن.
- إفراد الموسوعات الخاصة بالرد على جميع الشبهات القديمة والحديثة حول قصص القرآن في كل جانب من جوانب العلوم.
- الاستفادة من الوسائل والتقنيات الحديثة في عرض وتفسير آيات قصص القرآن بصورة ممتعة ومشوقة ونافعة، لتقريب الفهم بطريقة ذهنية.

المراجع:

1- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب تأليف :فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى (1421هـ الموافق 2000م).

2- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد عبد جلال الدين السيوطي، دار الفكر بيروت 1993م.

3- تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار الفكر بيروت 1401 هـ.

4- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، دار الفكر بيروت (1405 هـ).

5- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

6- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي دار الشعب القاهرة.

7- معالم التنزيل في تفسير القرآن، تأليف: محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار المعرفة بيروت، تحقيق:خالد عبد الرحمن العك.

8- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر بيروت.

9- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

10- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة 1404 هـ .

11- البحر المحيط تأليف: أبي حيان محمد بن يوسف الشهير الأندلسي، دار الكتب العلمية لبنان بيروت الطبعة الأولى (1422هـ الموافق2001م) تحقيق: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون.

12- أحكام القرآن تأليف: أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، دار الفكر للطباعة والنشر لبنان تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

13- تفسير القرآن، المؤلف : محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : 1421هـ) ملف الكتروني في الشاملة .

14- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، 1418 هـ .

15- تفسير البغوي.

16- التحرير والتنوير، تأليف: محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى عام(1420هـ الموافق 2000م).

17- الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394هـ/ 1974 م.

18- معجم علوم القرآن: علوم القرآن، التفسير، التجويد، القراءات؛ المؤلف: إبراهيم محمد الجرمي؛ حالة الفهرسة: غير مفهرس الناشر: دار القلم؛ سنة النشر: 1422 – 2001.

19- شرح كتاب الإتقان الشيخ مصطفى البحياوي الحلقة العاشرة من الدقيقة الثالثة إلى النصف الساعة.

20- سير أعلام النبلاء: المؤلف: أبي عبدالله شمس الدين الذهبي.

21- الجامع الصحيح، تأليف: أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي بيروت بلا تاريخ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون .

22- تأويل مشكل القرآن ، المؤلف: أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، الناشر: دار الكتب العلمية- لبنان، الطبعة: الثانية، عام: 2007 .

23- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - 1415هـ - 1995 م تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي.

24- السنن ، تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، دار الفكر تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

25- المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار المعرفة لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

26- مواقف الأنبياء في القرآن الكريم -تحليل وتوجيه، المؤلف: د. صلاح عبدالفتاح الخالدي، الناشر: دار القلم-دمشق، الطبعة الأولى عام 1424هـ-2003م.

27- التفسير والمفسرون، المؤلف: د. محمد حسين الذهبي، الناشر: آوند دانش، الطبعة: الأولى، عام 1425هـ-2005م.

28- أصول في التفسير، المؤلف محمد بن صالح العثيمين، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى.

29- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، الدكتور/ عبد الكريم زيدان، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون عام: 1419-1998م.

30- تأويل مشكل القرآن ، المؤلف: أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، الناشر: دار الكتب العلمية- لبنان، الطبعة: الثانية، عام: 2007 .

31- المعجم المفهرس، المؤلف: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الكتب المصرية، سنة النشر: 1364.

32- المعجم الوسيط المؤلف : إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار، دار النشر : دار الدعوة، تحقيق : مجمع اللغة العربية 1379هـ/1960م.

33- نفحات من علوم القرآن، المؤلف: محمد أحمد محمد معبد، الناشر: دار السلام- القاهرة، الطبعة الثانية، عام 1426هـ-2005م.

34- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية بيروت 1413/ 1992م.

35- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون المؤلف : اسماعيل باشا بن محمد امين بن مير سليم البابانى عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا والمعلم : رفعت بيلكه الكليسى، الناشر : دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

36- مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي. المؤلف: أحمد قبش المترجم / المحقق: غير موجود الناشر: دار الرشيد الطبعة: الثالثة 1405 هـ / 1985 م.

37- المحكم والمحيط الأعظم المؤلف : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ــ تحقيق : عبد الحميد هنداوي، الناشر : دار الكتب العلمية، سنة النشر : 2000م، مكان النشر : بيروت.

38- موقع الإسلام سؤال وجواب للشيخ محمد المنجد، على الرابط التالي: https://islamqa.info/ar/82856.

39- مجلة جامعة بابل/كلية الدراسات القرآنية المجلد 23/ العدد 3/ 2015. بحث الدَّلالَةُ القَصْدِيَّةُ من ظَاهِرَةِ التكرار في القِصَّة القرآنية، الباحثة سكينة عزيز عباس الفتلي.

40- القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة بيروت.

41- مجموع فتاوى الإمام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين: فهد بن عبد العزيز، بإشراف الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، 1416هـ الموافق 1995م جمعه: عبد

الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة المؤلف : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت .

42- صحيح مسلم تأليف: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .

43- تفسير الفاتحة والبقرة المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ) الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1423 ه.

جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY